آخر (٢٩) وتخطر الفتاة، فى عكس مجرى النهر، ويمشى دانتى تلقاءها، ويتحدثان حديثاً مشجياً، ثم يسمعان موسيقى بعيدة فينظران، فاذا حفل حاشد فى أديم الفردوس يلوح فى الأفق. (٣٠) وتمضى لحظة، واذا ملاك كريم يتيه فى شفوف بيض يتنزل من السماء الى مسرى دانتى، وينظر الشاعر، فيرى حبيبته بياتريس هى هذا الملاك الطاهر فيكاد يجن من الفرح ... ولكن بياتريس تأخذ معه فى عتاب حلو وعذل رفيقه (٣١) فيعترف الشاعر أنه مخطئ فى كل ما أخذت عليه حبيبته، ويركع بين يديها معتذراً ثم يسجد سجدة طويلة باكية، وتتقدم اليه ماتيلدا — الفتاة السابقة — فتأخذ بيده، وتخوض به لجج ليث، ثم تقدم اليه أربع عذارى فاتنات، يمثلن الفضائل الكنسية، وهؤلاء يقدمنه الى جريفون، رمز المخلص، السيد المسيح، والى ثلاث عذارى أخريات يمثلن الفضائل الأنجيلية، وهؤلاء يقدمنه الى بياتريس التى تنسى دانتى جمالها الخلاق، وتشغفه بجمالها الروحى (٣٢ — ٣٣) وينطلق الجميع (دانتى وماتيلدا وستاتيوس وبياتريس) ويحذرون دانتى ألا يحدق النظر فى حبيبته لئلا يعشى بصره من شدة لألائها. ثم يصلون الى دوحة عظيمة هى شجرة المعرفة التى أكل منها آدم وطرد بسببها من الجنة، فيرى الى أطيار وأشباح غريبة تهبط من علٍ فتكون فيها، ويتبين منها دانتى بازيا ونسراً وثعلباً وتنيناً . . . . وتتقدم بياتريس الى الشجرة هى والعذارى السبع فينشدنه أنشودة من أناشيد الجنة، ثم يمضى الجميع وتكلم بياتريس دانتى، فتكشف له عن شؤون غيبية ستحدث له فى الدار الفانية حينما يعود اليها. ويكونون عند النبع الأكبر الذى يفترق عنده النهران ليث ويونو؛ وهنا تشير بياتريس الى ماتيلدا فتتقدم هذه الى دانتى وتسقيه جرعة من مياه يونو، التى تكون هى وأمواه ليث عظمة الاله وحكمته وجبروته

(للبحث بقية) د. خ

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصرياً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا اجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثالثة (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد فى الخارج ١٥ قرشاً

أندلسيات

أبو بكر بن العربى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

نترجم اليوم لامام عظيم من أئمة المسلمين، وعلم من أعلام هذا الدين، الذين أنجبتهم الأندلس فيمن أنجبت، فأثروا فى العلوم الاسلامية تأثيراً، ونظروا فيها تنظيراً، وفصّلوا ما أجمل منها تفصيلاً، وسجلوا من ثم أسماءهم فى سجل الخلود تسجيلاً ..

هذا الامام هو العالم الحافظ الأصولى المحدث الفقيه الأديب الثبت الثقة أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافرى الاشبيلى الأندلسى المعروف بالقاضى أبى بكر بن العربى ..

نَجَلَ هذا الامام(١) أبوان كريمان فاضلان مُعْرِقَان لهما فى الفضل والكرم، ومن ثم تداركته أعراق صِدْق وكان منه هذا النابغة العظيم، ولا جرم، فان للوراثة أثرها، وللبيئة أثرها البالغ كذلك، هيأهما قدر من الله نافذ، وخط فى أم الكتاب مسطور، وذلك أن أمّ المترجم له هى بنت أبى سعيد عبد الرحمن الهوزنى صاحب صلاة الجماعة بقرطبة فى عهدى عبد الرحمن الداخل وابنه هشام، وهو رأى أبو سعيد والد أبى القاسم الحسن الهوزنى أحد العلماء الأعلام والسروات النابهين، وهو — أى أبو القاسم — والد أبى حفص عمر ابن الحسن الهوزنى الكاتب البارع الألمعى. أما أبو المترجم له فهو أبو محمد عبد الله بن محمد أحد فقهاء أشبيلية ورؤسائها، وكان له عند المعتمد بن عباد أعظم ملوك الطوائف وعند أبيه المعتضد من قبله منزلة باسقة . . ولما انقضت دولة المعتمد بن عباد وسائر ملوك الطوائف باستيلاء يوسف بن تاشفين ملك مراكش على الأندلس خرج أبو محمد ومعه ابنه المترجم إلى الحج، وذلك سنة ٤٨٥ هـ — سنة ١٠٩٢ م — وسن المترجم له إذ ذاك زهاء سبعة عشر عاماً، إذ كان مولدُهُ سنة ١٠٧٥ م، وقد تأدب المترجم باشبيلية قبل ارتحاله مع أبيه وقرأ القراءات وسمع أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزنى وأبا عبد الله السرقسطى وغيرهم، وفى ذلك يقول من كتاب له: « حذقت القرآن ابن تسع

(١) نَجَلَه: وَلَدَه

سنين ثم ثلاثة لضبط القرآن والعربية والحساب ، فبلغت ست عشرة ، وقد قرأت من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام ونحوه ، وتمرنت فى العربية واللغة ثم رحل بى أبى إلى المشرق . » ولما ذهب إلى الاسكندرية سمع الأنماطى وغيره ، وسمع بمصر أبا الحسن الخلعى وغيره ، وبدمشق غير واحد ، ولقى ببغداد أبا حامد الغزالى وغيره ، وفى لقائه الغزالى يقول فى كتابه قانون التأويل : « ورد علينا ذا نشمند — يعنى الغزالى — فنزل برباط أبى سعد بإزاء المدرسة النظامية معرضاً عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا إليه ، وعرضنا أمنيتنا عليه ، وقلت له : أنت ضالتنا التى كنا ننشد ، وإمامنا الذى به نسترشد ، فلقينا لقاء المعرفة ، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة ، وتحققنا أن الذى نُقل إلينا من أن الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ، ولو رآه على بن العباس — ابن الرومى — لما قال :

إذا ما مدحتَ امرأً غائباً ... فلا تَغْلُ فى مدحه واقصد
فانك إن تَغْلُ تَغْلُ الظنو ... ن فيه الى الأمد الأبعد
فَيَصغُرُ من حيث عَظّمته ... لفضل المغيب على المشهد

* * *

ثم حجّ فى موسم سنة ٤٨٩ وسمع بمكة أبا على الحسين بن على الطبرى وغيره ، ثم عاد الى بغداد ثانية وصحب أبا بكر الشاشى وأبا حامد الغزالى والخطيب التبريزى وغيرهم من العلماء والأدباء وقرأ عليهم الفقه والأصول والأدب ، وقيّد الحديث واتسع فى الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام (علم التوحيد) ثم صدر عن بغداد الى الأندلس وعاج على الاسكندرية وأقام بها مدة عند أبى بكر الطرطوشى (١) فمات بها أول سنة ٤٩٣ ثم انصرف هو الى الأندلس سنة ٤٩٥ وقدم بلدة اشبيلية بعلم كثير لم يأت بمثله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق — إلا الامام الباجى كما يقول المترجم من كلمة له — وسنترجم للباجى — وكانت رحلة علماء الأندلس وأدبائها الى المشرق — الى إفريقية — تونس والجزائر — ومصر والشام والعراق والحجاز ، والى خراسان وما إليها بل والى الهند والصين أحياناً — فى حركة ودؤوب عجيبين ، لا يكادان يفترقان على بعد الشقة وصعوبة المواصلات واختلال الأمن ، كما كان كثير من المشارقة يرتحلون الى الأندلس ، غير أن رحلة الأندلسيين الى المشرق كانت فى الأعم الأغلب لنشدان التبحر فى العلم والأدب واللغة والارتواء من سلسبيلها الثر الفياض إذ كان الأندلسيون يعلمون أن المشرق هو مهد العلوم والمعارف ، فكانوا لذلك يقفون من المشارقة موقف الأبناء من الآباء ، أو التلاميذ من الأساتيذ . كما كان من أغراضهم تأدية فريضة الحج . أما المشارقة فقد كان ارتحالهم الى الأندلس إما بدعوة من ملوكها للأفادة وبث العلم والفن والأدب كما كان الشأن مع أبى على القالى إذ دعاه الحكم المستنصر ولى عهد الناصر ، ومع زرياب الموسيقى العبقرى إذ دعاه عبدالرحمن الأوسط ، وإما للربح والاتجار كما كان من الرازى محمد بن موسى والد أبى بكر أحمد بن محمد الرازى كبير مؤرخى الأندلس ، وإما للاستكشاف وحب الاستطلاع خدمة للعلم من طريق السياحات كما كان من مثل ابن حوقل ، وإما للأقامة بالأندلس والاستمتاع بذلك الفردوس الاسلامى المفقود كما كان من كثير ممن نزحوا الى الأندلس وأقاموا بها ... «وبعد» فانا فى الحق لا نعلم أمة من الأمم كانت تعنى بالعلم وتحصيله ، وتعانى ما تعانى راضيه فى سبيله ، عناية المسلمين الأولين . وكان ذلك منهم نزولاً على حكم دينهم وحضه على التعلم والتعليم وطلب العلم ولو بالصين ... ولمناسبة السفر وصعوبته فى تلك العصور نورد هنا نبذة للمترجم له أوردها المقرى ، قال : « ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى فى كتابه قانون التأويل ركوبه البحر فى رحلته من إفريقية قال : وقد سبق فى علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزَوْله (١) ، ويغرقنا فى هوله ، فخرجنا من البحر ، خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت كعب بن سليم ونحن من السغب ، على عطب ، ومن العرى ، فى أقبح زى . . . تمجنا الأبصار ، وتخذلنا الأنصار . فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا وكسانا ، بأمر حقير ضعيف ، وفن من العلم طريف . وشرحه أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه ، فعل السامد اللاه (٢) ، فدنوت منه فى تلك الأطمار ، وسمع لى بياذقته (٣) ، إذ كنت من الصغر فى حد يسمح فيه للأغمار (٤) ، ووقفت بإزائهم ، أنظر

(١) هو ابن أبى رندقة صاحب كتاب سراج الملوك ، وهو من علماء الأندلس ومات بالاسكندرية ، وكان من الزهاد الصالحين ، وكان كثيراً ما ينشد :

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

(١) الزول العجب (٢) السمود اللهو واللاه اللاهى بمعنى السامد

(٣) البياذقة الرسية محرفة عن بيادة ، أى ما تسميهم الشاة ومنه بيدق الشطرنج ، والمراد هنا رجاله وأتباعه

(٤) الأغمار ، إما جمع غمر وهو الصبى الغر الذى لم يجرب الأمور ، وإما مصدر بمعنى الدخول فى غمرة الناس وزحمتهم

إلى تصرفهم من ورائهم ، إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القراءة فى خُلس البطالة ، مع غلبة الصبوة والجهالة ، فقلت للبياذقة : الأمير أعلم من صاحبه : فلحظونى شزراً وعظمت فى أعينهم بعد أن كنتُ نزراً ، وتقدم إلى الأمير من نقل الكلام إليه ، فاستدنانى فدنوتُ منه ، وسألنى هل لى عما هم فيه بصر ؟ فقلت : لى فيه بعض نظر ، سيبدو لك ويظهر ، حرّك تلك القطعة ، ففعل ، وعارضه صاحبه ، فأمرته أن يحرك أخرى ، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى ، حتى هزمهم الأمير ، وانقطع التدبير ، فقالوا : ما أنت بصغير ، وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عمّ الأمير منشداً :

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ربه
وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

فقال : لعن الله أبا الطيب أوَ يشكّ الربّ ؟

فقلت فى الحال : ليس كما ظنّ صاحبك أيها الأمير ، انما أراد بالرب ههنا الصاحب ، يقول : ألذّ الهوى ما كان المحبُّ فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض والآمال ، على ريب ، فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمله ، ونقاة لما يقع به ، كما قال :

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى
فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض ، فى طرق الابرام والانتقاض ، ما حرّك منهم إلى جهتى دواعى الانتهاض ، وأقبلوا يتعجبون منى ، ويسألوننى كم سنىّ ، ويستكشفوننى عنى ، فبقرت لهم حديثى (١) ، وذكرت لهم نجيثى (٢) ، وأعلمت الأمير بأن أبى عمى ، فاستدعاه ، وقدنا الثلاثة الى مثواه ، فخلع علينا خلعه ، وأسبل علينا أدمُعه ، وجاء كل خوان ، بأفنان الألوان ، ثم قال — بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه — فانظر الى هذا العلم الذى هو للجهل أقرب (٣) ، مع تلك الصبابة اليسيرة من الأدب ، كيف أنقذا من العطب . . .

(لها بقية) عبد الرحمن البرقوقى

(١) بقرت حديثى فتحته وكشفته وأصل البقر الشق والفتح والتوسعة

(٢) نجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم إذا ظهر سرهم الذى كانوا يخفونه والمراد هنا جلية أمرى

(٣) يريد الملاحه بالشطرنج وليس يعاب مثله بمعرفته الشطرنج ولاسيما إذا لوحظ أن ذلك كان منه فى حداثة سنه وذلك دليل على رجحان لبه وذكاء قريحته وعلى ذلك قد عاب هو نفسه مثل هذا العلم إذ جعله للجهل أقرب ا هـ

جامعة الاسكندرية

بقلم ابراهيم جمعة

المتحف الاسكندرى — جامعة على غرار الأكاديميات الأثينية — وجه الخلاف بينهما — الغرض من إقامة المتحف — راعى المتحف — جامعة الاسكندرية وجامعات العصور الوسطى فى أوروبا — الشبه بين كلية الملكة وكلية أول سولز فى اكسفورد وبين جامعة الاسكندرية — النظام الداخلى للجامعة — علماء هذا العصر — مكتبة المتحف

— ١ —

تحققت فى مصر سياسة الاسكندر الأكبر — تلك السياسة التى كانت ترمى الى صبغ البلاد المفتوحة بصبغة إغريقية هلينية ، وقد ساعد على تحقيق حلم الاسكندر إنشاؤه مدينة الاسكندرية لتكون مركزاً لتلك الثقافة الجديدة . وقد جرى أعقابه فى مصر من البطالسة على سياسته ، فجعلوا الاسكندرية من حيث التجارة وريثة لبيريه ميناء أثينا التجارية كما جعلوها وريثة لأثينا نفسها من الوجهة العلمية — وهكذا تكون الاسكندرية قد قامت فى وقت هوى فيه لواء العلم من عل بمهمة سامية ظلت تقوم بأعبائها عدة قرون

وكان أكبر مظاهر هذه الوراثة تأسيس بطليموس سوتر لمتحف الاسكندرية — والمتحف الاسكندرى جامعة علمية ، وإنما سميت الجامعة متحفاً لقيامها فى ركن من أركانه . وقد كانت تلك التسمية شائعة فى العصر الاغريقى ، فقد كان يطلق لفظ « الجنازيوم » على جامعة بيرن . . وقد انحدرت هذه التسمية من العصور القديمة الى العصور الوسطى فالحديثة ، فما يزال يطلق لفظ المتحف « ميوزيوم » على بعض الأندية الأدبية فى ألمانيا حتى الآن

فلا غرابة إذن إذا أطلقنا لفظ المتحف الاسكندرى وأردنا به جامعة الاسكندرية ، فقد كان كل ما فى المتحف من شتى أنواع الحيوان والنبات ومن مجموعات الكتب النفيسة والمخطوطات وما إلى ذلك عوناً على الدراسة العلمية المنظمة ، والبحث فى حياة الكائنات ، وتقصى الحقائق والتأليف ، مما كان فى مجموعه أشبه شىء بمهمة الجامعات فى العصور الحديثة

أنشأ سوتر هذا المتحف بمساعدة فيلسوف أثينى هو « ديمتريوس فاليرون » الخطيب اليونانى الذى استصحبه سوتر